٥

قصص من وحي الحديث الشريف



البلاءُ العظيمُ

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود

رسوم
محمد حماد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

زَمَان .. زَمَان ..

قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) بِزَمَانٍ ..

كَانَ يَعِيشُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الرِّجَالِ ..

كَانُوا جَمِيعًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ..

كَانَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ أَبْرَصَ ..

وَكَانَ الرَّجُلُ الثَّانِي أَقْرَعَ ..

وَكَانَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ أَعْمَى ..

كَانَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ ذَاتَ يَوْمٍ شَخْصًا عَادِيًّا ، لَا يَشْكُو مِنْ أَيِّ مَرَضٍ مُزْمِنٍ أَوْ مُعْدٍ ، يُنَفِّرُ النَّاسَ مِنْهُ ..

وَكَانَ لَهُ زَوْجَةٌ وَأَبْنَاءٌ ، وَأَهْلٌ وَجِيرَانٌ وَأَصْدِقَاءٌ ..

وَكَانَ الرَّجُلَ مَحْبُوبًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَمَعَارِفِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ عَلَاقَاتٌ طَيِّبَةٌ مَعَهُمْ جَمِيعًا ..

وَذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى ابْتِلَاءَ هَذَا الرَّجُلِ ، فَأَصَابَهُ بِمَرَضٍ مِنْ أَشَدِّ الْأَمْرَاضِ خُطُورَةً .

اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ ذَاتَ صَبَاحٍ ، وَتَحَسَّسَ جِلْدَهُ ، فَوَجَدَهُ خَشِنًا ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنَ اللَّوْنِ الطَّبِيعِيِّ إِلَى لَوْنٍ أَبْيَضَ بَاهِتٍ ..

ظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّهُ قَدْ أُصِيبَ بِمَرَضٍ عَادِيٍّ ..

ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى الطَّبِيبِ وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَأَجْرَى الطَّبِيبُ الْكَشْفَ عَلَيْهِ ، وَصَدَمَهُ بِالْحَقِيقَةِ الْمُؤْلِمَةِ .. قَالَ لَهُ الطَّبِيبُ :

أَنْتَ مُصَابٌ بِالْبَرَصِ .. وَهُوَ مَرَضٌ مُعْدٍ .. يَجِبُ أَنْ تَتَحَاشَى الاخْتِلَاطَ بِالنَّاسِ ، حَتَّى لَا تُعْدِيهُمْ بِمَرَضِكَ الْخَطِيرِ ..

وَأَعْطَاهُ الطَّبِيبُ زُجَاجَةً بِهَا دَوَاءٌ سَائِلٌ ، وَنَصَحَهُ أَنْ يَدْهِنَ بِهَا

جَسَدَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فِي الْيَوْمِ ، كَمَا نَصَحَهُ بِالابْتِعَادِ عَنْ أَهْلِهِ ، حَتَّى لَا يُعْدِيَهُمْ ..

عَادَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا مَهْمُومًا ، فَالْتَفَّ حَوْلَهُ أَوْلَادُهُ وَزَوْجَتُهُ ، وَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ :

مَاذَا حَدَثَ يَا زَوْجِي ؟ وَمَاذَا أَلَمَّ بِكَ ، لِكَيْ تَبْدُو مَهْمُومًا حَزِينًا هَكَذَا ؟.



وَشَرَعَ الرَّجُلُ يَشْرَحُ لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، أَنَّهُ قَدْ أُصِيبَ بِمَرَضِ الْبَرَصِ الْخَطِيرِ .. وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَبْتَعِدُوا عَنْهُ ، حَتَّى لَا يُعْدِيَهُمْ بِمَرَضِهِ .. وَوَاظَبَ الرَّجُلُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ الَّذِى نَصَحَهُ الطَّبِيبُ بِاسْتِعْمَالِهِ ..

مَضَى يَوْمٌ وَيَوْمَانِ ..

وَأُسْبُوعٌ وَأُسْبُوعَانِ ،

وَالرَّجُلُ مُبْتَعِدٌ عَنِ النَّاسِ ، مُوَاظِبٌ عَلَى اسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَطْرَأْ أَىُّ تَحَسُّنٍ عَلَى حَالَتِهِ .. بَلْ إِنَّ مَنْظَرَ جِلْدِهِ الْأَبْيَضِ الْمُتَقَيِّحِ ، أَصْبَحَ مُثِيرًا لِاشْمِئْزَازِ أَىِّ شَخْصٍ يَرَاهُ ..

فَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى زِيَارَةِ الطَّبِيبِ مَرَّةً وَمَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَزِدِ الطَّبِيبُ عَلَى أَنْ نَصَحَهُ بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ ..

وَلَمْ يَكْتَفِ الرَّجُلُ بِذَلِكَ ، بَلْ أَصْبَحَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، مُحَاوِلًا أَنْ يَجِدَ عِنْدَهُمُ الدَّوَاءَ وَالشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِهِ الْخَطِيرِ ، لَكِنَّهُمْ جَمِيعًا فَشِلُوا فِى عِلَاجِهِ ..



وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ شَعَرَ الرَّجُلُ بِالْيَأْسِ مِنَ الشِّفَاءِ ، فَسَاءَتْ حَالَتُهُ النَّفْسِيَّةُ ، خَاصَّةً عِنْدَمَا أَصْبَحَ النَّاسُ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِاسْمِ (الْأَبْرَصِ) ..



وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ أَصْبَحَ النَّاسُ يَنْفِرُونَ مِنْهُ ، وَلَا يُحِبُّونَ الاخْتِلَاطَ بِهِ ، أَوِ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ ، أَوِ التَّعَامُلَ مَعَهُ .. ابْتَعَدَ عَنْهُ أَصْدِقَاؤُهُ وَجِيرَانُهُ وَأَقَارِبُهُ ، وَأَخِيرًا ابْتَعَدَ عَنْهُ أَوْلَادُهُ وَزَوْجَتُهُ ..

وَجَدَ الْأَبْرَصُ نَفْسَهُ فِي عُزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ ، فَعَاشَ وَحِيدًا ..

* * *



وَكَانَ الرَّجُلُ الثَّانِي ــ وَهُوَ (الأَقْرَعُ) ــ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلًا عَادِيًّا مِثْلَ أَغْلَبِ النَّاسِ .. كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ رَأْسِهِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ ابْتَلَاهُ اللهُ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ أَصَابَ فَرْوَةَ رَأْسِهِ ، فَبَدَأَ شَعْرُهُ يَتَسَاقَطُ ، حَتَّى أَصْبَحَ ذَاتَ صَبَاحٍ ، فَلَمْ يَجِدْ شَعْرَةً وَاحِدَةً فَوْقَ رَأْسِهِ .. صَارَ الرَّأْسُ خَالِيًا تَمَامًا مِنَ الشَّعْرِ .. بِاخْتِصَارٍ أَصْبَحَ الرَّجُلُ (أَقْرَعَ) ..



وَكَمَا فَعَلَ الْأَبْرَصُ ، ذَهَبَ الْأَقْرَعُ إِلَى الطَّبِيبِ .. لَمْ يَذْهَبْ إِلَى طَبِيبٍ وَاحِدٍ ، بَلْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ ..

وَكَمَا حَدَثَ لِلْأَبْرَصِ ، فَشَلَ الْأَطِبَّاءُ وَالْحُكَمَاءُ فِي مُعَالَجَةِ الْأَقْرَعِ ، وَكَمَا حَدَثَ لِلْأَبْرَصِ ، صَارَ النَّاسُ يَتَحَاشَوْنَ الاقْتِرَابَ مِنَ الْأَقْرَعِ ، أَوْ الاحْتِلَاطَ بِهِ ، حَتَّى لَا يُصِيبَهُمْ مِثْلُ الَّذِى أَصَابَهُ ..

وَكَمَا حَدَثَ لِلْأَبْرَصِ ، فَقَدْ سَاءَتْ حَالَةُ الْأَقْرَعِ النَّفْسِيَّةُ ، وَعَاشَ فِي عُزْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ ..

* * *



وَكَانَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ ــ وَهُوَ (الْأَعْمَى) ــ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلًا بَصِيرًا يَرَى الدُّنْيَا بِعَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَهُمَا لَهُ اللهُ تَعَالَى ، ضِمْنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَنْعَمَ سُبْحَانَهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ ، كَنِعْمَةِ السَّمْعِ ، وَنِعْمَةِ الْعَقْلِ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ النِّعَمِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ ابْتَلَى اللهُ الرَّجُلَ الثَّالِثَ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ فِي عَيْنَيْهِ .. فَقَدَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ بَصَرَهُ ، فَأَصْبَحَ ضَرِيرًا لَا يَرَى ..

وَكَمَا فَعَلَ (الْأَبْرَصُ) وَ (الْأَقْرَعُ) فَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ الْأَعْمَى إِلَى الْأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، لِعِلَاجِ عَيْنَيْهِ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ..



وَهكَذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ مَحْرُومًا مِنْ نِعْمَةِ الْبَصَرِ .. لَمْ يَعُدْ فِي وُسْعِهِ أَنْ يَرَى الدُّنْيَا ، وَيَتَفَرَّجَ عَلَيْهَا ، كَمَا كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ.. وأَصْبَحَ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيَقُودُهُ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ..

وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ أَصْبَحَ الْأَعْمَى يَعِيشُ وَحِيدًا فِي عُزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ ..

★ ★ ★

وَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْتَبِرَ إِيمَانَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ (الْأَبْرَصِ) وَ (الْأَقْرَعِ) وَ (الْأَعْمَى) وَأَنْ يَمْتَحِنَ قُوَّةَ إِيمَانِهِمْ ، وَهَلْ يَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللهِ ، إِذَا أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ .. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ ..

ذَهَبَ الْمَلَكُ إِلَى (الْأَبْرَصِ) فِي عُزْلَتِهِ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ (الْأَبْرَصُ) السَّلَامَ .. ثُمَّ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ :

عَجَبًا .. مُنْذُ أُصِبْتُ بِهذَا الْبَرَصِ اللَّعِينِ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا يَنْفِرُونَ مِنْ مَنْظَرِي ، وَيَهْرُبُونَ مِنِّي ..! فَمَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ يَقِفُ أَمَامِي دُونَ أَنْ يَخَافَ مِنَ الْعَدْوَى ..؟

فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ :



مَا هِيَ أَحبُّ أُمْنِيَةٍ إِلَى نَفْسِكَ ..؟

فَتَعَجَّبَ (الْأَبْرَصُ) وَقَالَ :

مُنْذُ أُصِبْتُ بِهَذَا الْبَرَصِ اللَّعِينِ ، وَأَنَا أَتَمَنَّى لَيْلَ نَهَارَ أَنْ أُشْفَى مِنْ مَرَضِي ، وَأَنْ يَزُولَ عَنِّي مَرَضِي ، وَيَرْزُقَنِي اللهُ لَوْنًا حَسَنًا ، وَجِلْدًا نَاعِمًا لَا خُشُونَةَ فِيهِ ، وَلَا تَقَيُّحَاتٍ ، حَتَّى أَخْرُجَ مِنْ وَحْدَتِي وَعُزْلَتِي ، وَأَعُودَ إِلَى لِقَاءِ النَّاسِ وَالْاخْتِلَاطِ بِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ هَجَرُونِي ، اشْمِئْزَازًا مِنْ مَنْظَرِي الْمُنَفِّرِ ..

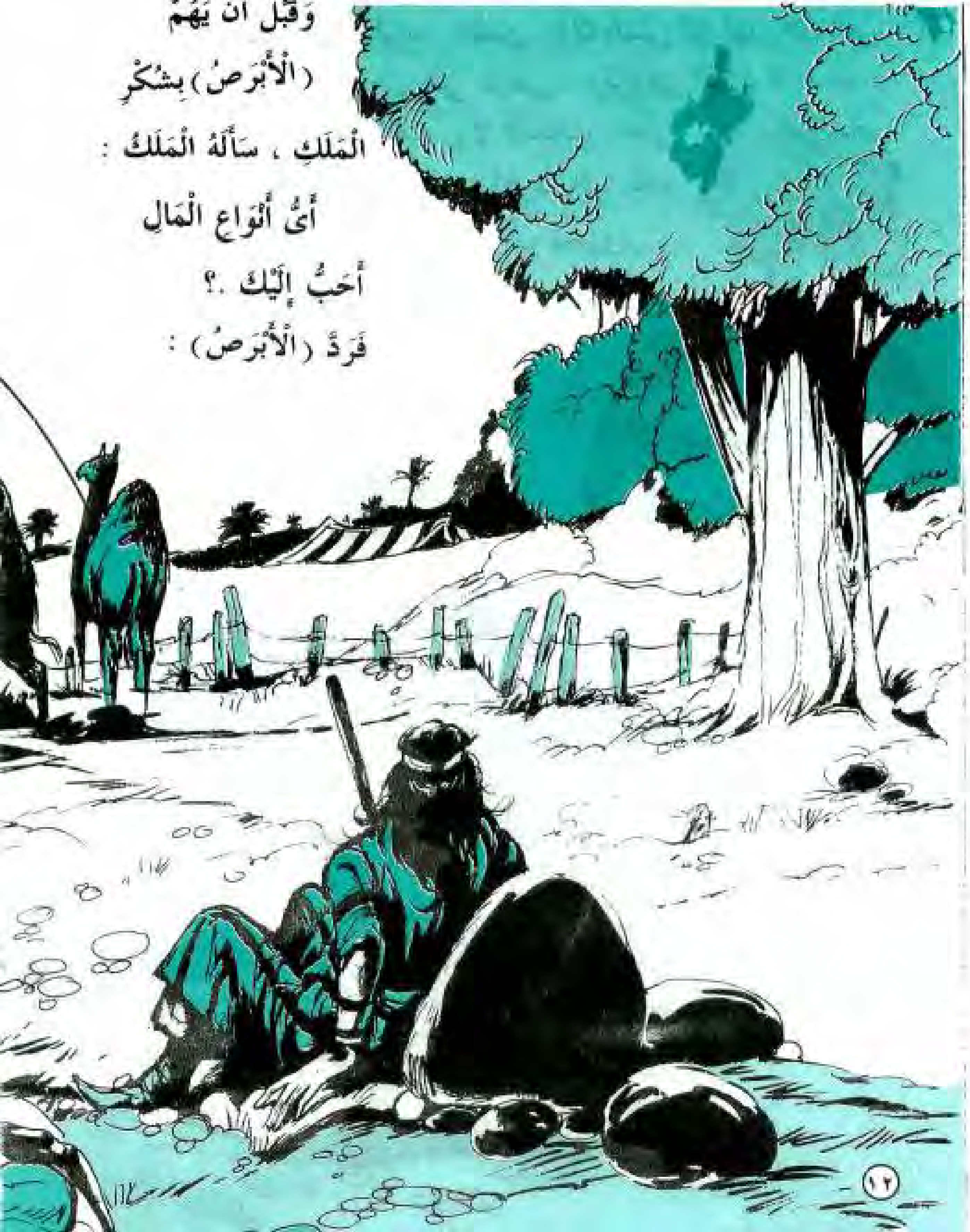
فَقَالَ الْمَلَكُ : بِسْمِ اللهِ الشَّافِي ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَمَسَحَ جَسَدَ الرَّجُلِ (الْأَبْرَصِ) ..



وَبِاسْمِ اللهِ الشَّافِى ، زَالَ عَنِ (الْأَبْرَصِ) مَرَضُهُ ، وَشُفِى مِنَ الْبَرَصِ فِى الْحَالِ ، فَعَادَ لَوْنُ جِلْدِهِ إِلَى طَبِيعَتِهِ ..

وَقَبْلَ أَنْ يَهُمَّ (الْأَبْرَصُ) بِشُكْرِ الْمَلَكِ ، سَأَلَهُ الْمَلَكُ : أَىُّ أَنْوَاعِ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ .؟ فَرَدَّ (الْأَبْرَصُ) :



أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيَّ هُوَ الْإِبِلُ .. نَعَمْ أَنَا أُحِبُّ الْإِبِلَ ، وَأَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهَا الْكَثِيرُ وَالْكَثِيرُ ..

وَكَانَ (الْأَبْرَصُ) فَقِيرًا ، فَأَعْطَى اللهُ الْمَلَكَ نَاقَةً عُشَرَاءَ (حَامِلًا) فَقَدَّمَهَا الْمَلَكُ لِلْأَبْرَصِ ، وَقَالَ لَهُ :

هَذِهِ النَّاقَةُ لَكَ .. خُذْهَا .. بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا ..



ثُمّ اخْتَفَى الْمَلَكُ فَجْأَةً تَارِكًا (الْأَبْرَصَ) فِي حَيْرَةٍ مِمَّا حَدَثَ لَهُ .. كَانَ أَبْرَصَ فَشَفَاهُ اللهُ وَعَافَاهُ ، وَكَانَ فَقِيرًا فَأَعْطَاهُ اللهُ وَأَغْنَاهُ :

لَكِنَّهُ تَسَاءَلَ فِي النِّهَايَةِ :

تُرَى مَنْ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ الْغَرِيبُ الَّذِى لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ ..؟

لِمَاذَا مَسَحَ عَلَى جَسَدِى فَشَفَانِى ..؟ وَلِمَاذَا أَعْطَانِى هَذِهِ النَّاقَةَ ..؟

* * *

وَكَمَا حَدَثَ مَعَ (الْأَبْرَصِ) ذَهَبَ الْمَلَكُ إِلَى (الْأَقْرَعِ) فَوَقَفَ أَمَامَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَلَمَّا رَدَّ عَلَيْهِ (الْأَقْرَعُ) السَّلَامَ ، بَادَرَهُ الْمَلَكُ بِقَوْلِهِ :

مَا هِيَ أَحَبُّ أُمْنِيَةٍ إِلَى نَفْسِكَ ..؟

وَبِرَغْمِ تَعَجُّبِ (الْأَقْرَعِ) مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ ، الَّذِى لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَالَّذِى يُبَادِرُهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحَبِّ الْأُمْنِيَاتِ إِلَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ تَحَسَّسَ رَأْسَهُ الْخَالِيَ مِنَ الشَّعْرِ وَقَالَ :

أَحَبُّ الْأُمْنِيَاتِ إِلَى نَفْسِى هِيَ أَنْ يَزُولَ عَنِّى مَرَضِى ، وَأَنْ يَمْنَحَنِى اللهُ شَعْرًا جَمِيلًا ، يُغَطِّى رَأْسِى ، حَتَّى لَا يَنْفِرَ النَّاسُ مِنْ مَنْظَرِى ..

فَقَالَ الْمَلَكُ :

بِسْمِ اللهِ الشَّافِى ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَمَسَحَ رَأْسَ (الْأَقْرَعِ) ..

وَبِاسْمِ اللهِ الشَّافِى زَالَ عَنِ (الْأَقْرَعِ) مَرَضُهُ ، وَشُفِىَ مِنْ قُرَاعِهِ ، فَنَبَتَ عَلَى رَأْسِهِ شَعْرٌ جَمِيلٌ ..

تَحَسَّسَ (الْأَقْرَعُ) رَأْسَهُ ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ نَفْسَهُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَالْفَرَحِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَهُمَّ (الْأَقْرَعُ) بِشُكْرِ الْمَلَكِ ، سَأَلَهُ الْمَلَكُ :

مَا هِيَ أَحَبُّ أَنْوَاعِ الْمَالِ إِلَيْكَ ..؟

فَقَالَ (الْأَقْرَعُ) :

أُحِبُّ الْأَبْقَارَ ، وَأَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهَا الْكَثِيرُ وَالْكَثِيرُ ..



وَكَانَ (الْأَقْرَعُ) فَقِيرًا ، فَأَعْطَى اللهُ الْمَلَكَ بَقَرَةً عُشَرَاءَ (حَامِلًا) فَقَدَّمَهَا الْمَلَكُ لِلأَقْرَعِ ، وَقَالَ لَهُ :

هَذِهِ الْبَقَرَةُ لَكَ .. خُذْهَا .. بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا ..

وَكَمَا حَدَثَ مِنْ قَبْلُ ، اخْتَفَى الْمَلَكُ فَجْأَةً ، كَمَا ظَهَرَ فَجْأَةً تَارِكًا (الْأَقْرَعَ) يَتَحَسَّسُ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي دَهْشَةٍ ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْبَقَرَةِ فِي حَيْرَةٍ ..

* * *

وَكَمَا حَدَثَ مَعَ (الْأَبْرَصِ) و (الْأَقْرَعِ) ذَهَبَ الْمَلَكُ إِلَى (الْأَعْمَى) فَوَقَفَ أَمَامَهُ ، وأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَلَمَّا رَدَّ الْأَعْمَى عَلَيْهِ السَّلَامَ بَادَرَهُ الْمَلَكُ بِقَوْلِهِ :

مَا هِيَ أَحَبُّ أُمْنِيَّةٍ إِلَى نَفْسِكَ ..؟

فَتَعَجَّبَ (الْأَعْمَى) مِنْ هَذَا الْغَرِيبِ الَّذِى لَا يَعْرِفُهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَقَالَ :

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى نَفْسِى ، أَنْ يَزُولَ عَنِّى مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْعَمَى ، وَأَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِى ، فَأُبْصِرُ النَّاسَ ، وَأُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ، وَلَا أَتَعَثَّرُ فِي خُطُوَاتِى ..

فَقَالَ الْمَلَكُ :

بِسْمِ اللهِ الشَّافِى ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى وَجْهِ (الْأَعْمَى) وَمَسَحَ عَيْنَيْهِ ..

وَبِاسْمِ اللهِ الشَّافِى ، فَتَحَ الْأَعْمَى عَيْنَيْهِ ، فَأَبْصَرَ الْمَلَكَ وَاقِفًا أَمَامَهُ ، وَأَبْصَرَ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ ..



تَعَجَّبَ (الْأَعْمَى) ، وَهَمَّ بِأَنْ يَشْكُرَ الْمَلَكَ ، فَقَاطَعَهُ الْمَلَكُ بِقَوْلِهِ :

أَيُّ أَنْوَاعِ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ .؟

فَرَدَّ الْأَعْمَى :

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيَّ هِيَ الْغَنَمُ .. كَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عِنْدِي قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ ..!

وَكَانَ (الْأَعْمَى) فَقِيرًا ، فَأَعْطَى اللهُ الْمَلَكَ شَاةً وَلُودًا ، فَقَدَّمَهَا الْمَلَكُ لِلأَعْمَى ، وَقَالَ :

هَذِهِ الشَّاةُ لَكَ .. خُذْهَا .. بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا ..

ثُمَّ اخْتَفَى الْمَلَكُ تَارِكًا (الْأَعْمَى) فِي تَعَجُّبٍ وَدَهْشَةٍ مِنَ الَّذِي حَدَثَ لَهُ .. وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ لِيَرُدَّ إِلَيْهِ جَمِيلَهُ مَعَهُ ..

★ ★ ★

عاد (الأبرص) إلى حالتِهِ الطبيعية .. عادت إليه زوجته وأبناؤه وَأهلُهُ وَجِيرَانُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ .. لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَنْفِرُ مِنْهُ ، أَوْ يَشْمَئِزُّ مِنْ مَنْظَرِهِ الْكَرِيهِ ، فَانْطَلَقَ يَرْعَى النَّاقَةَ الْعُشَرَاءَ الَّتِي أَعْطَاهَا لَهُ الْمَلَكُ ..

وَلَمْ تَمْضِ شُهُورٌ قَلِيلَةٌ ، حَتَّى وَضَعَتِ النَّاقَةُ بَعِيرًا صَغِيرًا ، فَفَرِحَ بِهِ (الْأَبْرَصُ) وَاسْتَمَرَّ فِي رِعَايَةِ النَّاقَةِ وَصَغِيرِهَا ..

وَعَادَ (الْأَقْرَعُ) إِلَى مُمَارَسَةِ حَيَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ ، لَمْ يَعُدِ النَّاسُ يَنْفِرُونَ مِنْهُ ، كَمَا كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ .. فَانْطَلَقَ يَرْعَى الْبَقَرَةَ الْعُشَرَاءَ ، الَّتِي أَعْطَاهَا لَهُ الْمَلَكُ ..

وَلَمْ تَمْضِ أَسَابِيعُ قَلِيلَةٌ حَتَّى وَضَعَتِ الْبَقَرَةُ عِجْلَةً صَغِيرَةً .. فَفَرِحَ بِهَا (الْأَقْرَعُ) وَوَاصَلَ رِعَايَتَهُ لِلْبَقَرَةِ وَابْنَتِهَا ..

وَعَادَ (الْأَعْمَى) إِلَى مُمَارَسَةِ حَيَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ ..



لَمْ يَعُدْ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُودُهُ فِي الطَّرِيقِ ، أَوْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَضَى يَرْعَى الشَّاةَ الَّتِي أَعْطَاهَا لَهُ الْمَلَكُ.

وَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ ، حَتَّى وَضَعَتِ الشَّاةُ حَمَلًا صَغِيرًا، فَفَرِحَ بِهَا (الْأَعْمَى) وَوَاصَلَ رِعَايَتَهُ لِلشَّاةِ وَحَمَلِهَا ..

* * *

وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ ..

أَصْبَحَ لِلْأَبْرَصِ خِلَالَهَا قَطِيعٌ مِنَ الْإِبِلِ يَمْلَأُ وَادِيًا كَبِيرًا .. وَأَصْبَحَ لِلْأَقْرَعِ خِلَالَهَا قَطِيعٌ مِنَ الْبَقَرِ يَمْلَأُ وَادِيًا كَبِيرًا ..



وَأَصْبَحَ لِلْأَعْمَى خِلَالَهَا قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ يَمْلَأُ وَادِيًا كَبِيرًا ..

وَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْتَبِرَ مَدَى إِيمَانِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ ، وَهَلْ هُمْ شَاكِرُونَ لِلنِّعْمَةِ ، مُرَاقِبُونَ لِلهِ تَعَالَى ، أَمْ أَنَّهُمْ جَاحِدُونَ مُنْكِرُونَ لِأَنْعُمِ اللهِ عَلَيْهِمْ .. هَلْ هُمْ يَتَصَدَّقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى الْفُقَرَاءِ ، كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِمْ ؟ أَمْ أَنَّهُمْ يَبْخَلُونَ بِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهَا ؟ فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمُ الْمَلَكَ فِي نَفْسِ صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ الْأُولَى ..

ذَهَبَ الْمَلَكُ إِلَى (الْأَبْرَصِ) ، فِي الْمَرَاعِي الْوَاسِعَةِ الَّتِي يَرْعَى فِيهَا قَطِيعَ الْإِبِلِ وَقَالَ لَهُ :

أَنَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ بَائِسٌ ، كُنْتُ مُسَافِرًا ، وَمَاتَتْ دَابَّتِي الَّتِي تَحْمِلُنِي ، وَلَيْسَ مَعِي مَالٌ أَشْتَرِي بِهِ دَابَّةً أُخْرَى لِأَعُودَ إِلَى أَهْلِي .. أَعْطِنِي بَعِيرًا أَرْكَبُهُ فِي سَفَرِي ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ (الْأَبْرَصُ) بِاحْتِقَارٍ وَازْدِرَاءٍ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ..

فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ :

أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالَّذِي أَعْطَاكَ كُلَّ هَذِهِ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَاكَ الْمَالَ بِلَا حُدُودٍ ، أَنْ تُعْطِيَنِي بَعِيرًا يُوصِلُنِي إِلَى بَلَدِي ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ (الْأَبْرَصُ) بِاحْتِقَارٍ :

لَيْسَ عِنْدِي بَعِيرٌ زَائِدٌ عَنْ حَاجَتِي لِأُعْطِيَهُ لَكَ .. انْصَرِفْ وَإِلَّا نِلْتَ مِنِّي مَا تَكْرَهُ ..

فَحَدَّقَ الْمَلَكُ فِي وَجْهِ (الْأَبْرَصِ) وَتَفَحَّصَ هَيْئَتَهُ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :

كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَوْ رَأَيْتُكَ مِنْ قَبْلُ ..



فَأَشَاحَ الْأَبْرَصُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ فِى ازْدِرَاءٍ .. ثُمَّ قَالَ :
لَكِنَّنِى لَا أَعْرِفُكَ ، وَلَمْ يَسْبِقْ لِى أَنْ تَشَرَّفْتُ بِمُقَابَلَتِكَ ..

فَقَالَ الْمَلَكُ :

أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْ مَنْظَرِكَ الْقَبِيحِ ، وَيَبْتَعِدُونَ عَنْكَ ، حَتَّى لَا تُعْدِيهِمْ بِمَرَضِكَ ، فَشَفَاكَ اللهُ وَعَافَاكَ .؟

أَلَمْ تَكُنْ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَعْطَاكَ كُلَّ هَذِهِ الْإِبِلِ .؟

فَقَالَ (الْأَبْرَصُ) بِكِبْرِيَاءٍ وَتَغَطْرُسٍ :

لَقَدْ وَرِثْتُ كُلَّ هَذَا الْمَالِ عَنْ آبَائِي ، وَأَجْدَادِي .. لَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئًا ..

فَتَعَجَّبَ الْمَلَكُ وَقَالَ :



إنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُعِيدَكَ إلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْمَرَضِ ..

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ الْمَلَكُ ، مُتَوَجِّهًا إلَى (الْأَقْرَعِ) وَكَانَ هُوَ أَيْضًا فِي الْمَرَاعِي يَرْعَى قُطْعَانَ الْأَبْقَارِ وَالْعُجُولِ الْكَثِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ (لِلْأَبْرَصِ) ، فَرَدَّ عَلَيْهِ (الْأَقْرَعُ) بِمِثْلِ مَا رَدَّ بِهِ (الْأَبْرَصُ) ، فَتَعَجَّبَ الْمَلَكُ وَقَالَ لَهُ :

إنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُعِيدَكَ إلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْمَرَضِ ..

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ الْمَلَكُ مُتَوَجِّهًا إلَى (الْأَعْمَى) وَكَانَ جَالِسًا يَذْكُرُ اللهَ قَرِيبًا مِنْ قُطْعَانِ الْغَنَمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَرْعَى فِي الْمَرَاعِي ، وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، قَالَ لَهُ :

أَنَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، وَعَابِرُ سَبِيلٍ ، كُنْتُ مُسَافِرًا فَانْقَطَعَتْ بِي وَسَائِلُ السَّفَرِ ، وَلَيْسَ مَعِي مَالٌ يُوصِلُنِي إلَى بَلَدِي .. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً مِنْ شِيَاهِكَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْأَعْمَى :

نَعَمْ يَا أَخِي كُنْتُ أَعْمَى ، فَرَدَّ اللهُ إلَيَّ بَصَرِي .. وَكُنْتُ فَقِيرًا فَأَغْنَانِي اللهُ .. وَاللهِ مَا أَمْنَعُ عَنْكَ شَيْئًا الْيَوْمَ ..

أَمَامَكَ قُطْعَانِي ، فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ يَا أَخِي ..

فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ :

أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ يَا أَخِي .. لَقَدْ ابْتَلَاكَ اللهُ تَعَالَى فَنَجَحْتَ فِي الابْتِلَاءِ .. لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ ..

ثُمَّ حَيَّاهُ وَانْصَرَفَ ..

وَلَمْ يَكَدْ الْمَلَكُ يَمْضِي ، حَتَّى عَادَ (الْأَبْرَصُ) إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، مَرِيضًا يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْهُ ، وَفَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ..

وَعَادَ (الْأَقْرَعُ) إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَرِيضًا وَفَقِيرًا ..

أَمَّا (الْأَعْمى) فَقَدْ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِي مَالِهِ ، وَزَادَهُ إِيمَانًا عَلَى إِيمَانِهِ ، وَصَلَاحًا عَلَى صَلَاحِهِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الايداع : ٣٤٠٥

الرقم الدولي : ١ ــ ٢٣٦ ــ ٢٦٦ ــ ٩٧٧

